علاقة الطبيب بالمريض .. ليست بصحة جيدة

.. مالم تكن الثقة حاضرة .. لا يمكن لطبيب أن يحس معالجة المريض الذي لديه، بل ربما زاد الأمر سوء وهو ما يفسر الانتكاسات التي تحصل في حالة مريض تنقصه الثقة بمن يقوم بعلاجه وإن كان يمتلك مهارات عالية.

وكلما حاول الطبيب اليمني بناء جسور الثقة مع مرضاه واجهته الكثير من التحديات والصعوبات وهددته الإشاعات ليبدأ من جديد في زرع الثقة المفقودة ويمكن لأي طبيب أن يشرح رحلة معاناته ليس في معالجة المرضى ولكن في الدفاع عن نفسه وزملائه أمام التهم الموجهة بعدم القدرة على استعادة الصحة للمرضى والتخفيف من الألم الذي يواجهونه وتحمل مسؤولية النظر الدئم نحو الطبيب القادم من الخارج أو المتجهين إليه أينما كان ، وستظل هذه المشكلة قائمة حتى نقف على أسبابها ونحاول الاقتراب من حقيقتها وإن كانت ذات مذاق مر فذلك خير من تركها جانبا لتستعصي أكثر.

استطلاع/صقر الصنيدي

■ أحد الأطباء: الإعلام يتحمل المسؤولية في تشويه صورة الطب في بلادنا
■ ضغوط الحياة اليومية والظروف المعيشية تثني الطبيب عن الاهتمام ببناء جسور الثقة مع المرضى

مزايا الطبيب

اعتادت أم هيا أخذ طفلتها إلى طبيب عربي متواجد في صنعاء، وكانت حتى الصغيرة ترى في ما يقوله هذا الطبيب الأهمية وعندما غادر البلاد مؤخرا كان هذا الخبر سيئا بالنسبة لأم الطفلة ليس لأنه لا يوجد أطباء أطفال آخرون ولكن لأنه كان يتمتع بمزايا الطبيب الجيد، فهو أولا كما تقول الأم يستمع كثيرا لكل الشكوى المرضية ويدون أمامه كل التفاصيل ويبدأ في طرح الأسئلة عن المرض وأعراضه ويأخذ ذلك وقتا ولا يكتب العلاج أو يوجه بإجراء فحوصات معينة إلا بعد أن يصبح ملماً بالحالة ويريد التأكد من استنتاجاته، كما أن تعامله مع الأطفال يحسسهم بالأمان وعدم الخوف من الطبيب ويجعلهم غير متوترين عندما يذهبون إليه.

بينما كثير من أطباء الأطفال لا يسألون إلا القليل ويقررون الأدوية وليس لديهم الوقت الكافي للاستماع، وكما تقول أم هيا التي زارت العديد من أطباء الأطفال وكانوا يفكرون في إدخال المزيد من الأطفال المرضى وليس بعلاجهم جيدا أو يستقبلون يوميا عشرات الحالات خلال أربع ساعات وهو ما يؤدي إلى الارتباك في تحديد المرض وطريقة العلاج وهذا زعزع ثقتي بالكثير من أطباء الأطفال المتداولة أسماؤهم باعتبارهم جيدين إلا أن الواقع يجعلهم مهتمين بالدخل المادي أكثر من كسب ثقة المرضى.

تنقل بين الأطباء

فارس عبدالله الحميدي تنقل بين أكثر من طبيب وإلى الآن لم يجد أن الثقة قد قامت بينه وبين أحدهم وكلما حاول أن يثق بطبيب اكتشف أنه ليس كما توقع، فبعد أن يطلب منه الطبيب إجراء فحوصات معينة يحدد له أن الألم الذي يحتل رأسه بصورة يومية ناتج عن أمراض مرتبطة بالمعدة ويقرر له العلاج لكن وبعد أشهر يكون الألم ما يزال موجودا ولا يوجد أي تحسن وهكذا يستمر الحال دون الوصول إلى طبيب يحسن تحديد المرض وعلاجه.

ويضيف فارس أنه وغيره من المرضى أصبحوا ينتظرون ويترقبون قدوم أي طبيب من الخارج حتى يعالجنا بصورة جيدة حتى أننا نحجز قبل قدوم أي طبيب لمدة قد تزيد عن شهر ونظل في الانتظار ولا نفكر بالتكاليف لأن الصحة لا تقدر بثمن وتخفيف الألم يستحق عدم التفكير في تكاليف مهما تكن.

يقول نجيب الشوافي أنه أخذ والده منذ سنوات إلى أحد الأطباء وعند دخول العيادة أنصت الطبيب للشكوى المرضية واستفاض في الحديث الودي وتمكن الطبيب من تحديد المرض والعلاج المناسب .. الآن كلما اشتكى والدي من أي مرض يطلب مني أن آخذه إلى ذلك الطبيب رغم أن تخصصه في علاج العظام إلا أن أبي يطلب أن آخذه إليه إذا عانى من أي مرض لأنه حاز على ثقته المطلقة، كما يقوم بتوجيه النصح لكل من يعرفهم من المرضى ليذهبوا إليه وأصبح يروج لجودته الطبية في كل مكان – وهذا كله ناتج عن الثقة.

عبدالمؤمن محمد سيف يعتقد أن أطباءنا يقدمون أفضل ما لديهم لكن تواجههم مشاكل كثيرة وضغوط حياتية ومهنية فلا بد أن يعملوا في أكثر من مكان حتى يتمكنوا من توفير الحياة الكريمة والمستشفيات تدفعهم لاستقبال أكبر عدد من المرضى لأجل الكسب المادي وهذا يؤدي إلى عدم سماع كامل الشكوى والتقصير في التشخيص الدقيق وهذا هو ما ينزع الثقة رغم أن حالات كثيرة ينجح الأطباء في معالجتها ولا تنتشر أخبارها ولا يتداول الناس إلا السلبيات فقط عن الأطباء.

ما يقوله الأطباء

للأطباء رأي آخر يطرحون فيه ما يواجههم وقد يؤدي إلى حدوث نقص في نسبة الثقة بينهم وبين مرضاهم ملقين باللوم على مكونات أخرى تزعزع الثقة منها الإعلام المتحامل والذي لا ينقل إلا الجانب غير الإيجابي ويترك كل ما هو مشرق بعيدا عن الأضواء.

الدكتور صابر حزام من مستشفى الثورة بصنعاء والمختص في دراسة طب المجتمع يرى أن الطب في بلادنا يشهد تطورا مهنيا عاليا فهناك آلاف من المختصين يتخرجون كل عام وبمستوى جيد ولا ينفصلون عن واقعهم حتى أثناء الدراسة والتحصيل خاصة دارسي البودر الذين حققوا نتائج مميزة على الواقع ، وهذا المستوى المهني انعكس على مستوى تقديم الخدمة الطبية للمرضى، وإن كان هناك قصور في المعالجة للأمراض ذلك لأن العملية متشابكة فلا بد أن يعاد تقييم مستوى دقة التشخيص والأجهزة الطبية المتوفرة للطبيب وحتى تعاون المريض والتزامه بالإرشادات التي يقدمها الطبيب وعدم التهاون مع كل ما يقوله وينصح به.

أيضا جودة الدواء الموجود في الأسواق والحرص على اختيار الأصناف الممتازة وقدرة المريض على شرح حالته الصحية والأعراض التي عانى منها ، وكل هذه المسائل تسهل مهمة الطبيب وتزرع الثقة بينه وبين مرضاه.

هذه الثقة التي تهددها وتدمرها وسائل كثيرة بينها جلسات القات حيث تتداول قصص فشل لحالات علاجية وتنتقل كما لو كانت حقائق كما يقول الدكتور أكرم عبدالقوي والذي يعمل في وزارة الصحة مضيفا أن هذه الإشاعات تطغى على الحقائق وتحول دن وصولها إلى الناس وتزرع لديهم عدم الثقة بالطبيب المحلي، ومن الوسائل الإعلام الذي يروج لكل ما هو سلبي ويجعل منه قاعدة ويضر بسمعة الأطباء ويجعل المريض وهو في طريقه إلى الطبيب غير مصدق مسبقا لإمكانية نجاح الزيارة والعلاج .. كما أن هناك أعمالاً درامية كثيرة ظهرت مؤخرا تنتقص من الطبيب وتسخر من مهنته وتحوله إلى تاجر لا صلة له بالمهنة الإنسانية التي يجب أن يؤديها ويتم هذا في أكثر من قناة محلية كما لو أنهم اتفقوا على التشهير بسمعة الطبيب اليمني بصورة لا علاقة لها بالفن الدرامي الرفيع.